مقياس :المدارس التاريخية

المحاضرة 03

مدرسة الحوليات:école des anales

الارهاصات الأولى لظهور الاتجاه:

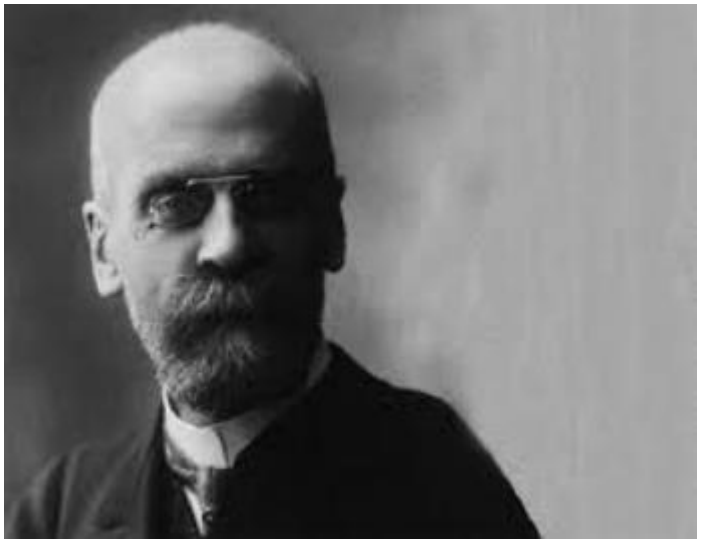

اميل دوركايم

كانت الكتابة التاريخية في القرن التاسع عشر تقوم على مرتكزات وأسس المدرسة التقليدية المنهجية الوضعانية التي تقوم على فكرة أساسية مفاده انه " لا تاريخ بدون وثيقة " ، وأنّ التاريخ يتم بالوثائق وليست أي وثيقة بل الوثائق المكتوبة حصريا ، مع التركيز على تلك التي تخص الجوانب السياسية والدبلوماسية والعسكرية إضافة إلي العناية الفائقة بدراسة الأحداث من منظور منفرد ومنعزل ،وهذا طبيعي بالنظر الى ان اغلب ما احتفظ به التاريخ هو الوثائق السياسية والديبلوماسية، كل هذا في مسار زمني ضيق وقصير وهو زمن الحدث ، واعتماد أسلوب الرواية والسرد السطحي دون تمحيص ولا تدقيق معتمدين في ذلك على ما توفر لديهم من الوثائق .

والحق أن هذه النظرة الضيقة للتاريخ كادت أن تحصر عمله في حقول التاريخ السياسي والدبلوماسي والعسكري وتحبسه في قوالب من الطرائق التقنية في تجميع الوثائق، على اعتبار أن القرن التاسع عشر هو قرن الوثائق السياسية بامتياز حيت تراكمات العديد من الأرشيفات التي تهم المعاهدات والاتفاقيات والمراسلات ، وقد سبقت الإشارة الى هذه المدرسة التي وضع قواعدها ليوبولد فان رانكة وشارل سينيوبوس ولانقلوا ، وأمام قصور هذه النظرية في الإحاطة بقضايا التاريخ فقد كان لزاما البحث فيما وراء تلك القوالب الجاهزة .

في بداية القرن العشرين صار ينظر الى الوضعانية كعائق امام العمل التاريخي ، وظهر مفكرون وفلاسفة ومؤرخون حاولوا بكل الطرق والأساليب التخلص من عقلية التخصص الضيق وحصر التاريخ في "الفرد" و"السياسة" و "الكرونولوجية" وتقديس الوثيقة المكتوبة. وفتح آفاق جديدة رحبة للتاريخ والمؤرخين، للخوض في مسائل على صلة بالمجتمع والاقتصاد والفكر.

مجلة التركيب ودورها في بلورة فكر الحوليات:

تعد مجلة "تاريخ العلوم *la Revue d'Histoire des Sciences*" و"التركيب *la Revue de Synthèse*" وسميت أيضا "مجلة التحليل التاريخي" بمثابة محطة رئيسية لتبلور فكرة الحوليات الفرنسية، ففي سنة 1900 أنشأ المفكر الفرنسي هنري بير مجلة التركيب ، كرد فعل على المدرسة الوضعية وروادها ، هذه المجلة وفى إطار الانفتاح على باقي العلوم ، وإزالة الحدود الضيقة بين التخصصات ضمت بين طاقمها العديد من المفكرين من مختلف التخصصات والحقول والميادين أمثال "دوركهايم" المختص في السوسيولوجيا ، "وسيمان" الباحث في الاقتصاد" وقالون " في ميدان السيكولوجية" ولوسيان فيفر" المؤرخ ، واختصر بير تصوره في العدد الأول من المجلة حيث رأى أن وحدة العلوم الاجتماعية تقوم على إعطاء الأهمية للمعطيات السيكولوجية في الحياة الاجتماعية ، وفي هذا الصدد يقول لوسيان فيفر ضمن متون هذه المجلة "سيساهم في كتابة التاريخ اللغوي والأديب والجغرافي والقانوني والطبيب وعالم الأجناس والخبير بمنطق العلوم" ، يتضح إذن أن هذه المجلة تشكل الانطلاقة الفعلية لتكامل العلوم والاندماج فيما بينها، والأخذ بطرقها في إطار الانفتاح علي كل الحقول من مختلف العلوم.

دور الفيلسوف دوركايم:

مثلت تلك الرؤية التي اضرنا اليها بمثابة زلزال في حقل الكتابة التاريخية ، قادها وتزعمها الفيلسوف وعالم الاجتماع الفرنسي إميل دوركايم ، هذا الأخير وإلي جانب علماء آخرين جاءوا برؤية جديدة وتجديد قوي يدعوا إلي ذوبان كل العلوم في إطار علم واحد هو السوسيولوجيا، وتكسير كل الحدود بين كل العلوم وذوبها، حيت يقول دوركايم " التاريخ لا يمكنه أن يكون علما إلا إذا قام بالتفسير، ولا يمكن للتاريخ أن يفسر إلا عندما يقوم بالمقارنة، وعندما يقوم التاريخ بعملية المقارنة فان التميز بينه وبين السوسيولوجيا ينعدم . إذن هذه دعوة صريحة إلي ذوبان التاريخ في إطار علم الاجتماع ، لكن هذا المشروع وهذا الاتجاه لم يكتب له الاستمرارية والنجاح ، نظرا لعدة ظروف وأسباب على رأسها الحرب العالمية الأولى 1914-1918 والدمار الذي خلفته في أوروبا، ووفاة العديد من رواد هذا الاتجاه على رأسهم إميل دوركهايم نفسه في سنة 1917م، لكن السبب الرئيسي في اعتقادنا يكمن في حملة التجديد القوية التي جاءت به هذه النظريات والأفكار الدوركايمية، التي لم يستسغها المؤرخون والأنتروبولوجيون والسميائيون وغيرهم من مختلف التخصصات ، فهي بمثابة إعلان نهائي عن وفاة تخصصاتهم وبروز علم السوسيولوجيا كعلم وحيد مسيطر على العالم.

لكن مجلة التركيب والاتجاه الدوركايمي ساهما في التحرر من هاجس التخصص الوحيد و بيداغوجية التاريخ السياسي و قدسية الوثيقة المكتوبة، لتظهر تدريجيا مدرسة الحوليات كاتجاه جديد في الكتابة التاريخية ، بمنهجيات جديدة ، وافكار شابة، وعقليات منفتحة.

بروز مدرسة الحوليات:

ظهرت مدرسة الحوليات وانتعشت في فترة ما بين الحربين 1918-1945 وفي ظل مناخ دولي معقد أتسم بتفاقم الأزمة الاقتصادية التي ضربت الدول الرأسمالية في سنة 1929م ،وما اعقبه من انعكاسات على مختلف الجزانب الاجتماعية والأخلاقية السلوكية.

ظهرت مدرسة الحوليات سنة 1929 بتأسيس المجلة التاريخية الاقتصادية الاجتماعية *les annales d'histoire économique et sociale* التي قام بتأسيسها أستاذان شابان هما لوسيان فيفر، ومارك بلوخ حيت قرر الرجلان أن ينفخا في دراسة التاريخ روحا قوميا جديدة ،

بحيث ستأخذ الكتابة التاريخية أبعادا جديدة سوسيولوجية و لسانية وجغرافية و ديموغرافية، و تحوّل التاريخ إلى دراسة كل ما له علاقة بالإنسان، واهتم المؤرّخ بالمدة الزمنية الطويلة من خلال التحقيب التاريخي عكس المدرسة المنهجية، وتقوم على الانفتاح على كل الحقول والميادين لكن بتحفظ ، أي باحتفاظ كل حقل من حقول المعرفة بخصوصياتها ، وبذلك صار حقل البحث التاريخي اشمل واوسع افقا، فصار يهتم بدراسة المجتمع اكثر من اهتمامه بالافراد ، وتوجه المؤرخون إلى دراسة تاريخ البنى الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والذهنية ، بدل الاكتفاء بالتاريخ السياسي الدبلوماسي وبالتحليل والتركيب عوض الانكفاء على دراسة الوثائق المكتوبة ، ومع هذه الحركية والديناميكية والتجديد من طرف رواد هذا الجيل الجديد من الباحثين الشبان طفت على السطح تخصصات ثنائية مثل الديمغرافية التاريخية، التاريخ الاقتصادي ، التاريخ الاجتماعي. ومن ثم صار الامر بين العلوم والتاريخ اخذ وعطاء ، فهو بيت الخبرة الإنسانية ومنطلق كل العلوم الإنسانية والدقيقة ، ومعين معلومات لا ينضب وبدون شك توسعت فكرة الحوليات مع مرور الزمن وتطور التكنولوجيات، حيت يقول عبد الله العروي أن مدرسة الحوليات تجاوزت سمعتها كل الحدود، حين نجد ممثلين عنها في كل أنحاء المعمور، من الهند إلى البرازيل، ومن السنغال إلى تركيا.

أهم أفكار مدرسة الحوليات الفرنسية:

لقد كانت مدرسة الحوليات بحق ثورة واسعة في مجال البحث التاريخي فكرا ومنهجا وتصورات وقناعات وقيم، فهي أسهمت في اخراج التاريخ من أفقه الضيقة نحو افق رحبة واطلالات على المعارف الإنسانية في تنوعها وتشابكها كما الهمت الباحثين أساليب منهجية مستحدثة في مجال التوثيق والتهميش.

اهتمت مدرسة الحوليات بالزمن الراهن، والقضايا الجديدة حيث أن معظم أعداد مجلة الحوليات صبت اهتمامها حول القضايا المعاصرة كالأزمة الاقتصادية، والأوضاع الاجتماعية، وصعود التيارات القومية والتطرف وعالجت المواضيع من زوايا اقتصادية واجتماعية ولعلها نهت الى خطورة الإفلاس الاقتصادي على اخلاق الأمم وصعود العنف ...الخ

برودل والتحقيب:

.6.5.2

فرناند برودل

يعتبر فرناند برودل Fernand Paul Achille Braudel (1902-1985) من الوجوه البارزة في مدرسة الحوليات بل ومن المجددين فيها، وتمكن من ان يؤسس لاتجاه له في مجتمع المؤرخين الفرنسيين انطلاقا من جامعة ستراسبورغ التي اشتغل فيها . ومن الأفكار الرائدة الى جاء بها، مفهوم جديد للزمن يقوم على التمييز بين ثلاث مستويات رئيسية:

الزمن الجغرافي (le temps géographie) : وهو زمن المدد الطويلة وزمن البنيات يتميز بتغيره البطيء.

-الزمن الاجتماعي (le temps social) : وهو زمن الظرفيات، وزمن المدد المتوسطة، مثل تاريخ تطور الاقتصاد والمجتمع.

الزمن الفردي (le temps individuel) : ويطابق زمن الوقائع، والأحداث السياسية كالحروب والمعاهدات وحكم الملوك.

الابتعاد عن السرد السطحي والتركيز على الأبطال والشخصيات والأساطير والخرافات، إلى الاهتمام بالمجتمع بكل مكوناته بما فيها الطبقات المسحوقة والمهمشة والطبقة العاملة والكادحة.

مفهوم الوثيقة اتساع مجاله ومداها وأصبحت تشمل كل مخلفات الإنسان من وثائق وكتب ورسائل، والاعتماد على الكشوفات الأثرية وعلم النوميات ، وكل شيء يساعد المؤرخ علي استجلاء الحقيقة.

ظهور تخصصات وحقول معرفية جديدة تفرعت عن التاريخ، ظهر التاريخ الإشكالي وتاريخ العقليات والذهنيات والعديد من الميادين من علم التاريخ.

الانفتاح على كل الميادين والحقول والعلوم والآداب التى يمكن أن تقيد المؤرخ ، فالتاريخ حسب المفهوم البروديلي ، هو حصيلة كل التواريخ الممكنة ، جميع المهن وجميع وجهات النظر بالأمس واليوم وغدا.

مدرسة الحوليات والتاريخ الجديد:

جاك لوغوف

لم ينظر أنصار التاريخ الجديد وعلى راسهم جاك لوغوف le goff الى الوضعانيين (الخصوم العلميين) على أساس تصفية حسابات شخصية، ولكن هناك اعتراف لكا واحد بدوره وفضله في تقدم التاريخ الجديد. اذ يمكن القول ان التاريخ الجديد ليس منهجا بحثيا فحسب ولكن منهجا تربويا أيضا يسعى الى الفصل بين العلاقات بين الناس.

انتقد لوغوف بشدة خصومه العلميين ونعتهم ب"الذين يقتاتون من التاريخ" وبالتجار الذين يعرضون "حساء تاريخيا فاسدا وغثا ونفعه قليل" ويبدو ان التاريخ الجديد قريب من الماركسية أيضا.

اعتمد أنصار التاريخ الجديد على مصادر متنوعة (دفاتر العدول، التاريخ الشفوي والتراث المادي) وسلط عليها الضوء من زوايا جديدة من خلال الطروحات والقضايا فصارت مادة وموضوع المؤرخ هو تاريخ الشعوب والمهمشين من خلال تسليط الضوء على هلك الفئات (المهملة والمتروكة) وهي مواضيع كانت تصنف على انها مواضيع خسيسة.

لم تعد الاهتمام بالمدينة من خلال عمرانها وقصورها واعيانها بل داخل الحياة الاجتماعية فيها ومعيشة الفئات الكادحة والفقراء، كما حارب التاريخ الجديد ما عرف بالزمن القصير لينظر الى التاريخ من خلال زوايا أوسع وأمد أطول. وقد استطاع رواد هذا الاتجاه إذا تحقيق غايات أسمي تمثلت في زعزعة الثوابت الذهنية والتاريخية السائدة وإعادة النظر في العديد من المسلمات كثل حالة "التدين في فرنسا".

لم ينظر رواد التاريخ الجديد للتاريخ بمنأى عن العلوم الرافدة والمساعدة، بالاعتماد على كل ما من شانه إضفاء الصدقية على القضايا التاريخية ويساهم في تحقق الموضوعية بما في ذلك الأساليب العلمية البيولوجية والطبية والجغرافية ...وهو ما اضفى على التاريخ نظرة شمولية أوسع وأرحب.